

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[533] من جهة شجرة كانت هناك: (نودي من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الأ رب العالمين) يستفاد من مجموع هذين التعبيرين أن موسى لما اقترب شاهد النار في داخل الشجرة - ويقول المفسرون أنّها كانت شجرة العناب - وهذا بنفسه كان قرينة واضحة على أن هذه النار ليست ناراً عادية، بل إنيّ هذا النور الإلهي الذي ليس لم يحترق الشجرة وحسب، بل إنيّ منسجم معها ومعروف، ألا وهو نور الحياة! وقد هام موسى لدى سماعه هذا النداء المحيي للروح: (إنيّ أنا ربك) وأحاطت بكل وجوده لذة لا يمكن وصفها، فمن هذا الذي يتحدث معي؟ إنيّ ربّي الذي جللني بالفخر الكلمة (ربك) ليُعْلمني بأنّي قد تربيت وترعرعت منذ نعومة أظفاري وإنيّ الآن في ظل رحمته وعنايته، وأصبحت مهيناً لرحمة عظيمة. لقد أُمِر أن يخلع نعليه، لأنّه قد وضع قدمه في أرض مقدسة .. الأرض التي تجلى فيها النور الإلهي، ويسمع فيها نداء الأ، ويتحمل مسؤولية الرسالة، فيجب أن يخطو في الأرض بمنتهى الخضوع والتواضع، وهذا هو سبب خلع النعل عن رجله. بناء على هذا، فإنّ البحث المفصل الذي بحثه بعض المفسرين حول خلع النعل - ونقلوا أقوالاً عن المفسرين - يبدو زائداً. طبعاً لقد نقلت روايات في باب تأويل هذه الآية سنبحثها في مقطع البحوث. إنيّ التعبير بـ (طوى) إنيّ لأنّ اسم تلك الأرض كان أرض طوى، كما قال ذلك أغلب المفسرين، ولأنّ "طوى" في الأصل بمعنى الإحاطة، وهنا كناية عن أن البركات المعنوية التي أحاطت هذه الأرض من كل جانب، ولهذا عُبر عنها في الآية (30) من سورة القصص بأنّها "البقعة المباركة". ثمّ سمع هذا الكلام من نفس المتكلم: (وأنا اخترتك فاستمع لما يوحد) ومن بعدها تلقى موسى أوّل جملة من الوحي على شكل ثلاثة أُمور: (إنيّ أنا